صورة الأنا في الرواية الجزائرية رواية "العارم" لعبد القادر نطور أنموذجا

رانيا ختال

كلية الآداب واللغات، جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة، r.khettal@univ-skikda.dz

تاريخ الإيداع: 2025/05/05 **تاريخ المراجعة:** 2025/05/05 **تاريخ القبول:** 2025/06/30

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى رصد صورة الأنا في الرواية الجزائرية، باعتبارها الجنس الأدبي القادر على احتواء جميع الموضوعات الخاصة بالأنا وتجسيدها في متون الدراسات الروائية، وعليه سلطنا الضوء على رواية "العارم" ل "عبد القادر نطور" الذي عالج الأنا من مختلف الجوانب، ومن هنا نطرح الإشكال الآتي: كيف تجلت صورة الأنا في رواية العارم؟ وللإجابة على هذا التساؤل اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الأجدر لمثل هذا النوع من الدراسة.

الكلمات المفاتيح: صورة، أنا، رواية، عارم، عبد القادر نطور.

The Image of the Ego in the Algerian Novel: Novel "Al-Arim" by Abdelkader Natour as a Sample

Abstract

This study aims to monitor the image of the ego in the Algerian novel, as it is a literary genre capable of containing all the topics related to the ego and embodying them in the texts of novel studies. Accordingly, we shed light on the novel "Al-Arim" by "Abdelkader Natour", which dealt with the ego from various aspects, and from here We pose the following problem: How was the image of the ego revealed in Al-A'rim's novel? To answer this Wondering, we adopted the descriptive analytical approach as it is the most appropriate approach for this type of study.

Keywords: Image, ego, novel, Al-Arim, Abdul Qader Natour.

المؤلف المرسل: رانيا ختال، r.khettal@univ-skikda.dz

- توطئة (مقدّمة):

أضحت البحوث المتعلقة بموضوع الأنا مدرجة بكثرة في جميع المجالات الثقافية والدراسات الأدبية في إطار ما يعرف بحوار الحضارات، ومعرفة جميع جوانبها وتجلياتها استنادا إلى الدراسات الصورولوجية.

ومن هنا، أصبحت دراسة الأنا تيمة محورية يقصدها الروائيون في رواياتهم على الصعيد الذاتي والاجتماعي، والتي تضع المتلقي في جو من الانفتاح على العوالم الروائية التي غذّتها الصور الذهنية والخيال الاجتماعي، فجاءت الصورولوجيا لتعالج مختلف هذه الصور المتعلقة بالأنا في النصوص الروائية باعتبارها الجنس الحاضن لمثل هذا النوع من الدراسات لما أثارته من قضايا وأفكار، وما طرحته من أسئلة.

وتهدف هذه الدراسة إلى محاولة رصد تبلور الأنا في رواية "العارم" وتتبع تجلياتها بين الأنا المجاهدة الثورية، والخائنة، والمنبهرة بالآخر، وتصوير الأنا من مختلف الزوايا، ومن أجل تحقيق هذا الهدف نطرح الإشكال الآتي: كيف تمظهرت صورة الأنا في الرواية؟ حيث تندرج تحت هذا الإشكال مجموعة من الأسئلة: كيف تتخذ الأنا في الرواية الواحدة العديد من الأدوار؟ وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الأنسب للدراسة.

1- مفاهيم اصطلاحية:

يتناول هذا المبحث مجموعة من المفاهيم التي بُنيت عليها الدراسة، والتي تساهم في ضبط مسار البحث، بالإضافة إلى تسهيل الاطلاع لدى القارئ.

1-1- الصورولوجيا:

تناولنا في هذا المطلب تعريف الصورولوجيا باعتبارها دراسة مجموعة من الصور والرؤى والمشاهد داخل الرواية.

تعتبر الصورولوجيا من الدراسات الحديثة التي ظهرت مع ميدان الأدب المقارن، وهي علم واسع يحاول دراسة مختلف الصور المتعلقة بالأنا والآخر، كما تتيح لنا معرفة الإنسان، وعبر هذه المعرفة يبرز لنا الجوهر المشترك للإنسانية، كما تعالج العديد من الإشكاليات المتعلقة أساسا بصورة الأنا في الرواية.

ومن هنا تعرف الصورولوجيا على أنها: "جزء من مادة الأسلوب، وأثر لغوي يرسم مسار الحكي والوعي، لا يتشكل إلا بتلاقحه مع آثار وصور أخرى خلفية تحيا داخل السرد والوصف، وتتخلق داخل النسيج العام للدلالة، تبلور أهم القضايا في النص باعتبار الصور مرتبطة ومتفاعلة مع كافة العناصر الأخرى البؤرية، فتصبح قادرة بشكل عملي على أن تدثر أي موضوع، وتعمل على التوجيه والتأثير وهي تتسع وتتوغل في ثنايا الموصوفات والتمثيلات، فتشمل كل المكونات النصية"[(1)].

إذن، فالصورولوجيا هي العلم الذي يُعنى بدراسة مجموعة من الصور والمشاهد والتعبير عن الرؤى المختلفة المتعلقة بالأنا داخل النسيج الروائي.

1-2- الأنا:

قمنا بتعريف الأنا من عدّة نواحٍ وتجلياتها في المجال الأدبي، ودورها المحوري في البناء السردي

وردت عدة مفاهيم للأنا ومن بينها: الأنا التي تصور الشخص أو الفرد ذكرا كان أو أنثى، وتعكس شخصيته وأفعاله، فالأنا تعبر عن الذات والنفس، والشخص والمتكلم؛ أي أنّ الأنا هي المتكلم نفسه، ومن هنا تبرز الأنا كعنوان أعلى وتصبح الأنا هي تلك الذات العارفة بنفسها باعتبارها قطبًا محوريًا، فوجودها من وجود الآخر،

وغيابها من غيابه، لتتضح العلاقة التواصلية أو الانفصالية مع الآخر، أو مع الذات نفسها لأنه توجد علاقة بين الذات وذاتها.

1-3- الرواية:

تطرقنا إلى مفاهيم الرواية باعتبارها الجنس الملائم لمثل هذا النوع من الدراسات لقدرتها على احتضان مختلف المواضيع.

تُعرّف الرواية على أنها: "جنس أدبي من الأجناس النثرية، وهي سرد للأحداث والوقائع بطريقة فنية وبلغة متميزة، وأسلوب مشوق، وغير مباشر، تستوعب مجموعة من الخطابات وهي جنس منفتح وقابل لاستيعاب كافة المواضيع وأشكال الحياة جماليا، وتعرف بأنها سياق حوادث متصلة ترجع إلى شخص أو أشخاص، يدور ما فيها من حديث عليهم"(2).

كما تعرّف أيضا بأنها: "كلية وشاملة وموضوعية أو ذاتية تستعير معمارها من بنية المجتمع وتفسح مكان التعايش فيه لأنواع الأساليب"(3).

نستنتج من هذه التعاريف أنّ الرواية هي الجنس الأدبي الحاضن لهذه الدراسات لقدرتها على الانفتاح على مختلف الصور والرؤى المتعلقة بالأنا في مختلف جوانبها ورصدها ومحاولة فهمها.

2- تجليات الأنا في رواية "العارم":

قمنا في هذا المبحث بعرض مختلف صور الأنا وتجلياتها في الرواية، وشرح كيف مثّلها الروائي وجسدها في ثنايا البناء السردي ورسم مسارها.

اتخذت الأنا في الرواية العديد من الأشكال المتنوعة والتمظهرات المختلفة، وفي هذا السياق تحديدا، يجب التمييز بين صورة الأنا في الرواية بين الأنا المجاهد الثوري، والأنا العدو، والأنا المرتزقة، والأنا الخائن، فالأنا تختلف علاقاتها في نسيج المجتمع.

ويتضح من الوهلة الأولى إذن، أنّ الرواية جمعت العديد من الصور لحضور الأنا متعددة الوجوه والأنماط والأدوار والمشكِّلة لموضوعات الخيانة، والجهاد، والولاء، ذات الطبيعة الاجتماعية، والتوجهات الأيديولوجية فالرواية عالم مفتوح للعديد من الأبطال والذوات، ويتجلى في هذا القول: "إنّ الأبطال البارزين في الرواية وعوالمهم ليسوا منغلقين على أنفسهم ولا يصمون آذانهم دون بعضهم بعض، بل هم يتقاطعون مع بعضهم...فالأبطال يعرف بعضهم البعض الآخر ويتبادلون المعلومات حول حقائقهم... ويجرون الحوارات فيما بينهم"(4).

بناء على ما تقدم يتضح أنّ صورة الأنا بتجلياتها المختلفة لها حضور طاغٍ في رواية العارم، ما كشف على العديد من أنواع الذات وما يتصل بها من حضور ثقافي واجتماعي وفكري، هذا ما كشف عن ملامح جديدة للأنا في الرواية أفرزت لنا العديد من السمات المختلفة ذات المضامين والهويات المتعددة والمتنوعة.

وفي غمار هذا التجلي تتولد لنا سمات عديدة عن الأنا تكشف عن مجرى وأحداث الرواية، ولعل ما يميز الأنا في بنية الرواية قد اكتسبت مكانة مركزية في المشهد الروائي عند عبد القادر نطور، وبالتالي يمكن عدّها القطب المحوري في الرواية والتي مثلت صورة الأم والزوجة والمجاهدة الثورية. كما توضح رواية العارم بجلاء مسألة الأنا واختلاف مواقعها في الرواية على الرغم من انتمائها إلى المجتمع جنسيا وهوياتيا، إلا أنها فكريا متأثرة بالآخر وعقليته، ما أدى إلى بهتان صورة الأنا من قبل المتلقي، ومثال هذا سي مرزوق، وسي عمار الذي يمثل في الرواية الأنا المنبهرة بالآخر.

وجدير بالذكر في هذا الصدد، أن شغلت الأنا المشهد الروائي وسيطرت على حيز التداول العام، وغدت الشخصية المحورية والرئيسية للرواية. فللأنا دور كبير في البطولة في رواية العارم وهي من الروايات الغنية بالأبعاد الأنا/الذات، فكل الأنوات الموجودة تعاني من عقدة وتوجه ما حيث يستغل سي مرزوق الطفل محمد لصغر سنه لممارسة خيانته للبلد من طرف هذا الولد الذي أودى بحياته في الأخير من أجل تحقيق مصالحه الشخصية، فمحمد يجد نفسه خائنا لأمانة والده دون قصد منه، وفي مواجهة المجتمع كشخص خائن بالرغم من عدم معرفته بالخيانة، لكن ما يلفت الانتباه في الرواية أنّ دائرة الخيانة تجرّ بعضها البعض؛ حيث تختار العارم اللجوء إلى قرية نائية وبعيدة تنفيذا لوصية زوجها من جهة، والحفاظ على ولدها من جهة أخرى، فالعارم تحاول الهروب من ماضي القرية رفقة ابنها.

2-1- الأنا المجاهدة:

2-1-1- باشاغا:

يحتاج الوطن إلى رجال يحملون مسؤوليته ويدافعون عن ترابه، وهذا ما أكده الروائي من خلال شخصية باشاغا البطل المجاهد الثوري الذي ضحى بروحه فداء لوطنه الذي واجه الخونة وتحمل قسوة التعذيب من أجل التمسك بموقفه وانتمائه إلى أرض عاش فيها حياته بحلوها ومرّها وبذلك التزم باشاغا بالدفاع عن هموم الوطن ونصرته، فالحياة عنده تكون بالمواجهة والتحدي للآخر الخائن المستعمِر، وهذا ما حفّز المتلقي وعزّز لديه الإحساس بالمسؤولية والانتماء للوطن، وتجلى هذا في الرواية: "كان المرحوم والدك يرتدي ثيابا ممزقة ومتسخة ثم يخرج من المحتشد (القرية) وراء مواشيه ومواشي الجيران، ويمر أمام مرأى أعين العساكر الذين لا يقتربون منه لانبعاث الروائح الكريهة الناتجة عن روث البقر والحليب الذي يرش به ثيابه، ولا يكتفي بهذه الروائح بل يضيف إليها سمكة أو سمكتين لزيادة قوة الرائحة الكريهة يقوم بأعمال لا يقبلها العاقل، تصور يا محمد أنه في أحد الأيام اشترى معدة بقرة وضعها على رأسه وخرج من المحتشد وكان حينها يحمل خمس قنابل يدوية سلّمها له أحد المرتزقة"[5].

قد أبرزت الأوصاف الإيجابية لباشاغا شجاعة وبطولة حقيقية أثناء تحمله كل أنواع العذاب وعدم الوشاية برفاقه في الجبل "عذبوه، ضربوه، لم يتفوه بكلمة واحدة هي التي كانت بمثابة صب البنزين على النار، وازداد غضب الذين كانوا يتولون تعذيبه، حتى إنّ واحدا ممن كان يعذبه وفي ذروة غضبه ضرب رأسه بقوة إلى حائط الزنزانة وسقط مغشيا عليه، وراح في غيبوبة استمرت أسابيع إلى أن لقي حتفه، أما والدك فقد صمد ولم يتفوه بكلمة واحدة"[6]؛ وهذا ما أدى به إلى تحقيق منجزات تاريخية، وهنا تتجلى قوة وتحمل الباشاغا للعذاب خدمة لبلده ووطنه، وفدائه بروحه ودمه، وهذا نتيجة الوشاية به من قِبل أخيه الخائن لمدعمش، إلا أنّ شهامة باشاغا تمثل شخصية الرجل الجزائري المجاهد الفحل الصنديد المقاتل.

2-2- الأنا الحزينة:

يعالج هذا المطلب كيفية تصوير الرواية لجانب من جوانب الأنا الحزينة والمتمثلة في شخصية العارم، ويعود ذلك إلى الأوضاع السياسية السائدة في الجزائر آنذاك، هذا ما جعلها تعيش في اضطراب دائم وخوف مستمر على حالها وأولادها، فتظهر أحيانا بأنها كئيبة شاردة، وأحيانا أخرى حزينة متألمة متشائمة من كل ما يدور حولها، ما أثّر على تفكيرها وسلوكاتها.

2-2-1- العارم:

تعيش العارم العديد من الآلام والأحزان نتيجة فقدها لزوجها باشاغا، وتشتت أولادها مسعود ويمينة، وهروبها من قريتها تنفيذا لوصية زوجها وخوفها على ابنها محمد الذي فقدته في الأخير بأبشع الطرق، ما أدخلها في دوامة من الآلام والأحزان والضياع.

تجلت الأنا الحزينة في رواية العارم في محطات كثيرة منها؛ بكاء العارم خوفا على ابنها محمد ""انهمرت الدموع من عيني العارم غصبا عنها لأنها أدركت بإحساس الأمومة أنّ أجل ابنها قد حان، وأنّ سي مرزوق لن يترك محمدا حيّا، وفكرت في الفرار مع أول فرصة تحين لها لكي تحمي ابنها من هؤلاء الخونة المرتزقة، وخاصة من هذا الوغد المدعو سي مرزوق الذي يلعب على الحبلين...قالت العارم الكثير من الأسرار خلال سهرة الأمس، وكأنها كانت تعلم بأنها السهرة الأخيرة مع ابنها فلذة كبدها"[7].

نلمس في الرواية طغيان إحساس الأمومة التي تنبأت بموت ابنها قبل حدوثه عبر إحساسها الطاغي، وهذا ما زاد من آلامها وحزنها، ومعاناتها وإحساسها بالقهر، ما أدى إلى طغيان ملامح الخيبة والحزن الشديدين والإحباط الكبير عليها، فخيّم الخوف على قلبها، فاستسلمت للأمر الواقع بأنّ مآل ابنها ومصيره الموت المحتم الذي لا مهرب له منه ولا مفر من سي مرزوق، أضف إلى ذلك ما تراه منه يوميا جعلها تتيقن بمقتل ابنها لا محالة، ما جعلها تعيش في اضطراب وخوف نفسي إلى أن تحقق ما كانت تخشاه، ودليل ذلك: "وعندما استيقظت لم تجد محمدا، فخرجت كالمجنونة من كوخها تصرخ بأعلى صوتها: محمد... محمد...، وأسرعت نحو مقهى القرية تبحث عن فلذة كبدها"[8].

نلاحظ هنا، هول الصدمة التي عاشتها العارم عندما استيقظت ولم تجد ابنها بجانبها ما جعلها خائفة متحيرة حين عودتها خالية الوفاض، تألمت كثيرا وحزنت حزنا شديدا فملجؤها الوحيد وأملها في الحياة رحل عن الدنيا دون وداع، مما أفقدها صوابها والسيطرة على ردة أفعالها، فابنها خطف من يديها دون أن تشعر، فالأنا (العارم) تعاني ألما عميقا، وهذا ما جسّده الروائي في هذا المشهد: "قالوا لها لم يأت معهم هذه الصبيحة وكانوا يظنون أنه مريض، صرخت العارم عند سماعها هذا الكلام، ووقعت على الأرض مغشيا عليها فاقدة الوعي، وبعدما رشّ أحد الرعاة الماء على وجهها استفاقت وتنهدت وسارت بخطوات متثاقلة نحو القرية، وعند وصولها لم تتمكن من الدخول إلى الكوخ في غياب ابنها محمد، جلست أمامه وعيناها نحو الجبل علها ترى ابنها قادما والتفتت حولها مجموعة من نساء وبنات القرية يحاولن التخفيف عنها... صارت كالمجنونة لا تتكلم إلا عن ابنها ولا تأكل إلا بعض اللقمات من الحشيش وأحيانا كسرة بدون زيت"[9]، ما جعل العارم تعيش حالة انعزال ووحدة وألم داخلي كبيرين بعد موت ابنها، ما جعلها تحب البقاء وحيدة والتمسك في نفس الروتين وعدم تغييره "كانت مجنونة، ولكنها منذ مجيئها من واد الزهور أين كانت مختفية صارت امرأة عاقلة، ولكنها لم تتحدث مع أي واحد من أبناء القرية"[10]؛ فالحزن والاكتئاب يجعلان من الإنسان كائنا وحيدا يميل إلى العزلة والانفراد، وهذا ما جسده مشهد العارم حين عودتها إلى قريتها، فحالتها النفسية حزينة وخاطرها مكسور، فموت محمد أثّر على نفسيتها فأصبحت تميل إلى السكوت والعزلة، أمام ذلك كله أصبحت حياة العارم بعد موت ابنها خوّاء، فقد فقدت شغف العيش في مجتمع مليء بالخيانة والخونة ولذلك تعيش بِغُصَّة الفقد حتى موتها.

2-3- الأنا المنبهر بالآخر:

نتطرق في هذا المطلب إلى الطريقة التي أورد بها عبد القادر نطور في روايته العديد من الصور والعبارات حول انبهار الأنا الجزائري بفرنسا وقيمها، ما أسهم في فساد أخلاق بعض الشخصيات والتحايل على أبناء وطنهم بالقتل والتعذيب، والوشاية والخيانة.

2-3-1- لمدعمش:

تجمع شخصية لمدعمش بين المتناقضين؛ فهو مرتزق ويتظاهر في نفس الوقت بالعمل في صفوف المجاهدين، فالأنا محكومة بين هذين العنصرين مع تغليب عنصر المرتزقة الذباح السفاح، فالسياق الاجتماعي للمدعمش جعله يحب الانتماء إلى فرنسا وخدمة مصالحها، والخدمة تحت صفوفها مما جعل المحيط الاجتماعي يرفضه ويكره أفعاله ما دفعه إلى الاحتماء بسلطة فرنسا ليعزز ثقته وقوته، وشعوره بالأمان وتخويف الأهالي "سكان القرية لا يسمحون لأبنائهم برعي مواشي غيرهم وخاصة عمك فإنهم يكرهونه لأنه منافق وخطير والقتل عنده عادي، إن قتل شخصا كأنه قتل حشرة، وهو محمي من طرف العساكر لأنه يدفع لهم ثمن المشروبات الكحولية أثناء السهرات، ولذلك فهو محمي من قبل هؤلاء العساكر، ومن يحاول الاقتراب منه مصيره الموت"[11].

تتجلى صورة الأنا المنبهرة بالآخر الفرنسي في الرواية في الدفاع عنه واتباعه وخدمة مصالحه على حساب مصلحة أبناء وطنه، يعلي شأنها ويحاول إقناعهم باتباعها، ما أدى ببعض الشخصيات إلى الانبهار بها والانجذاب لها كسّي مرزوق، ولمدعمش، وسي عمار الذين باعوا الوطن وخانوا الأمانة وأفشوا عن مكان المجاهدين والثوار من أجل فرنسا المستدمرة، ويدل قول سي مرزوق على مدى إعجابه بها: "وتمرد باشاغا على فرنسا التي أدخلت الحضارة علينا جميعا، وعلّمتنا كيف نلبس ونأكل، وكيف نتكلم"[12] والتأثر بها وبحضارتها، كما يدل على ذلك أيضا قول العارم لابنها: "يا ولدي إنه حاج (قاوري) –تقصد بذلك نصراني– منافق يصلي في النهار مع الناس ليكسب ثقتهم ويتصدق على من يزوده بمعلومات عن تحركات المجاهدين والمتعاونين معهم، ويشرب الخمر في الليل مع المرتزقة والعساكر الفرنسيين على حسابه طبعا، إنه عديم الأخلاق، شرير لا يؤتمن يا ولدي"[13].

تنجح الرواية في تسليط الضوء على الجانب الأنوي المنبهر بالآخر، ما يؤدي بالأنا إلى فقدان ضميرها وهويتها، والعيش في اضطراب نفسي نتيجة الهروب من الواقع، فوجدت في الانضمام إلى الآخر مصدر رفاهية وسعادة، لأنّ الأنا ترى في الآخر التفوق وامتلاك كل متاع الحياة.

2-3-2- السرجان عمار:

جسد الروائي شخصية الأنا الأنانية التي تفكر في مصلحتها على حساب الجميع وحتى الوطن، وهذا ما تمثل في شخصية السرجان عمار القائل: "فرنسا عندي فوق الجميع ومصلحتي هي الأولى، والآن حان وقت ذهابي إلى الثكنة للقاء مسيو الكابتان بولحية لنتجاذب أطراف الحديث أثناء لعبنا النرد وشربنا النبيذ المرسل من المعمرين القاطنين بمدينة (فيليب فيل)"[14].

2-3-3- سي منصور:

لمدعمش وسي عمار وسي منصور رأوا في فرنسا ملاذا من هروبهم من صعوبات الواقع فوجدوا فيها القوة والحضارة والسيطرة حسب وجهة نظرهم، حيث"سي منصور يصير إنسانا آخر، لا يعرف الشفقة ولا الرحمة إن عزم على ذبح شخص ما فلن يعد يسمع لأحد، ولن يتوقف حتى ينهي عملية الذبح، تتغير ملامحه، وتحمر

عيناه، ويقوم بتنفيذ ما يطلب منه دون رحمة، وكأنه ينحر خروفا ويتلذذ بذبح أي شخص يقع في يديه حتى ولو كان هذا الشخص فلذة كبده، وهو الذي ذبح ابنه صالح عندما حاول منعه بالقوة من ذبح والدته التي طلبت منه الطلاق عندما عرفت أنّ علاقته بسي مرزوق فيها الكثير من الشبهات"[15].

نلاحظ أنهم لجؤوا إلى حماية فرنسا هربا من التوترات والصراعات التي تعيشها البلاد فاحتموا بها لحماية أنفسهم وخدمة لمصالحها، فراحا يمارسان أساليب التعذيب وطقوسه بلا رحمة ولا شفقة، كما يتقنان ممارسة أساليب الخداع بحيل ذكية، ونذكر على سبيل المثال احتيالهم على الطفل محمد في إيصال الرسائل التي بسببها أودت بحياته وحياة العديد من المجاهدين دون علمه.

2-3-4- إمام المسجد:

يعتبر إمام المسجد الذي هو قدوة في المجتمع ويحث على الجهاد والدفاع عن الوطن قد دافع عن فرنسا ونصح بالانصياع لها، وهذا لأنّه تلقى مبلغا ماليا من سي منصور أنساه مهمته الشريفة "اسمعوا يا أبناء وأحفاد بني منصور إنّ هؤلاء الخونة الصعاليك أفسدوا الحياة وعكّروها، ويحاربون التي جاءت بالحضارة والتقدم فرنسا العزيزة، إياكم أن تسمعوا لهم وخذوا حذركم منهم"[16]، وبهذا الصدد نلاحظ نظرة الأنا المتسمة بالتبعية لفرنسا، وخدمة مصالحها لإعجابه بها والانبهار بحضارتها، وخدمة لمصالحه الشخصية.

كان الانبهار بالآخر على حساب الأنا وذلك من خلال الوشاية والقتل، والتعذيب لأبناء الوطن، فالروائي تعرض للعديد من المشاهد والصور لهذا الانبهار والتبعية، من هنا يصبح الحديث عن الأنا موضوعا واسعا بمختلف تجلياته، فالرواية فضاءٌ واسعٌ لاحتضان أشكال الأنا.

2-4- الأنا المثقفة:

يصور هذا المطلب شخصية يمينة باعتبارها من الشخصيات الرئيسية في الرواية، والتي تمثل الأنا المثقفة من خلال اشتغالها صحفية تسعى إلى كشف الحقائق، ومواجهة التحديات والصعوبات التي يعيشها المجتمع الذي لا يزال متمسكا بالعادات القديمة.

2-4-1- يمينة:

تمثل يمينة المرأة المتمردة على تقاليد المجتمع، من خلال التعبير عن أفكارها التي تؤمن بها، حيث تسعى جاهدة إلى تحقيق التوازن بين المجتمع وثقافتها "وكانت مجتهدة في دراستها تتقن العربية والفرنسية، عندما تحصلت على شهادة البكالوريا التحقت بقسم الصحافة حيث نالت شهادة ليسانس في الإعلام والاتصال، لتشتغل في مجلة المجاهد الأسبوعية"[17]؛ فهي تجسد الصراع الداخلي الذي يواجهه المثقف في المجتمع، فهي امرأة تحمل خلفية ثقافية ما ساهم في تشكيل شخصيتها، فاعتبرت رمزا للثقافة والمعرفة والتمرد الاجتماعي الفكري.

حيث تسعى يمينة إلى التغيير الاجتماعي من خلال عملها كصحفية ما يمنحها الحرية في التعبير عن أفكارها ونشر الحقائق، وبث الوعي، وكشف المستور، وجمع المعلومات، كما أنها دافعت عن العديد من القضايا الاجتماعية والفكرية والسياسية "وخصصت يمينة مقالاتها الأسبوعية لنقد الوضعية الاجتماعية والسياسية للبلاد، وكانت تقطن سكنا وظيفيا بزرالدة مع زوجها المتقاعد من الجيش وأبنائها الأربعة الذين يدرسون بالمرحلة الابتدائية والمتوسطة"[18].

تعبّر الشخصية المثقفة عن قضايا المجتمع وفضح الحقائق، والدفاع عن الضعفاء، وهي لسان حالهم، وذلك لدرجة وعيها الذاتي بما يدور حولها، والتفاعل مع الأحداث، وهذا ما يجعلها ترتبط بالمجتمع ارتباطا خاصا نتيجة

التجارب اليومية التي تعيشها، كما أنها جمعت العديد من المعلومات عن أخيها وأمها "وكانت قد جمعت كل المعلومات عن ما وقع لأخيها ولوالدتها، فعن أخيها أخبرتها المجاهدة سعدة بما وقع له"[19].

تتبنى الشخصية المثقفة المعرفة كوسيلة للانعتاق والتحرر من الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة، كما تبحث عن الحقيقة، والتحرر من الجهل، وهذا ما يعرضها للتوترات النفسية، والضغوطات الجسدية "تم فصلها من وظيفتها سريعا وجاءها بعد أسبوع أمر بالطرد من السكن الوظيفي وليس لها مأوى آخر يقيها وأفراد عائلتها برد الشتاء وحر الصيف، وزوجها عاجز عن الحركة... لم تتحمل الصدمة وفقدت الوعي وكانت نهايتها مأساوية، وعندما حان موعد محاكمتها جيء بها لقاعة المحكمة ولم تكد تضع قدميها على الأرض حتى اخترقت رصاصة رأسها لتسقط أرضا"[20].

بهذا الشكل، تتجسد الأنا المثقفة في العارم كجزء من الصراع بين الواقع الاجتماعي والأوضاع السياسية، حيث تسعى هذه الأنا إلى كشف الحقائق حول مقتل أخيها الذي راح ضحية غدر الخونة، ومقتل أبيها باشاغا، فتحاول معرفة الأسرار الداخلية من خلال بعض الشخصيات كالمجاهدة سعدة والخائن سي مرزوق الذي لم يتعرف عليها، ما جعل نهايتها مأساوية.

خاتمـــة:

توصلنا في دراستنا لموضوع صورة الأنا في رواية العارم إلى مجموعة من النتائج منها:

– تصوير الرواية للأنا الجزائري المجاهد الثوري المتمثل في شخصية باشاغا وتضحيته من أجل الوطن بكل ما يملكه، وتحمله كل أنواع العذاب إلى غاية وفاته.

– تمثيل الأنا الحزينة (العارم) وفقدانها لابنها بأبشع الطرق دون وداع من طرف الخونة ما أدخلها في دوامة من الحزن والألم.

– توظيف الروائي للأنا المجاهدة، الحزينة، المنبهرة بالآخر وربطها بالمحيط الاجتماعي والوضع السياسي السائد آنذاك.

–انبهار الأنا بالآخر حتى على حساب دينه ووطنه، والوقوع في التبعية لخدمة المصالح الشخصية.

– تجسيد رواية العارم العديد من النماذج للأنا بمختلف أنواعها ما خلق مجالا واسعا للدراسة والتحليل.

–كما نقترح توسيع الدراسات والبحوث من قبل الباحثين والطلبة حول الدراسات الصورولوجية المتعلقة بتصوير الأنا، وكشف الصور المختلفة لها داخل المتون الروائية، لأنّ ذلك يساهم في توسيع الدراسات، وتسهيل الطريق للقارئ في معرفة هذه الصور.

الإحالات والهوامش:

1- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 285.

2- عبد المالك مرتاض، الرواية جنس أدبي، مجلة أقلام، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ع12، 1986، ص 124.

3-عبد الله العربي، الإيديولوجية العربية المعاصرة، تر: محمد عثمان، دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1970، ص 31.

4- شعرية دوستوفسكي، تر:جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الرباط 1986، ص 102.

5- عبد القادر نطور، العارم، منشورات رأس الجبل حسين للنشر والتوزيع، ط1، 2021، ص 09.

6- رواية العارم، ص 14.

7- رواية العارم، ص 40– 41.

8- رواية العارم، ص 56.

9- رواية العارم، ص 57 – 59.

10- رواية العارم، ص 76.

11- رواية العارم، ص 29.

12- رواية العارم، ص 56.

13- رواية العارم، ص 28 – 29.

14- رواية العارم، ص 51.

15- رواية العارم، ص 60.

16- رواية العارم، ص 80.

17- رواية العارم، ص 72.

18- رواية العارم، ص 88.

19- رواية العارم، ص 73.

20- رواية العارم، ص 89.

قائمة المصادر والمراجع:

1- شعيب حليفي،2006، الرحلة في الأدب العربي التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.

2- عبد القادر نطور، 2021، العارم، منشورات رأس الجبل حسين للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة.

3- عبد الله العربي،1970، الإيديولوجية العربية المعاصرة، تر: محمد عثمان، دار الحقيقة، ط1، بيروت، 1970.

4- عبد المالك مرتاض، الرواية جنس أدبي، مجلة أقلام، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ع12.

5- ميخائيل باختين،1986، شعرية دوستوفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، ط1، الرباط.

6- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس، 2013.